من أسباب عزة المسلمين (٢)

٢٨/ ١٠/ ١٤١٧هـ

إِنَّ الحَمْدَ ِلله نَحمَدُهُ ونَستَعينُهُ ونَستَغفِرُهُ... أَمَّا بَعْدُ:

فَمَعَاشِرَ المُسلِمينَ:

تَقَدَّمَ في الجُمُعةِ المَاضِيَةِ ذِكْرُ شَيءٍ مِنْ أَسْبابِ عِزَّةِ المُسْلِمِينَ وَرُجوعِ هَيبَتِهِمْ وَمَكانَتِهِم فِي نُفوسِ عَدُوِّهِم.

وَقَدْ سَبقَ ذِكرُ أَربَعةِ أَسْبابٍ وَهِي:

- التَمَسُّكُ بِالكِتابِ وَالسُّنَّـةِ مَنْهَجاً وَعَقيدَةً.

- وَالالْتِفافُ حَولَ عُلمَاءِ الأُمَّةِ الرَّاسِخينَ فِي العِلمِ المَعروفِينَ بِصلاَحِ المُعتَقَدِ وَسَلامَةِ المَنْهَجِ.

- وَإِعَادَةُ النَّظَرِ فِي تَاريخِ المُسْلِمِينَ المَجيدِ التَّليدِ مِنْ بَابِ شَحذِ الهِمَمِ وَالعَزائِمِ.

- وَالتَفاؤُلُ وَالقَطعُ بِأَنَّ النَّصْرَ لِلإِسْلامِ بِحَسَبِ المُبشِّراتِ مِنَ النُّصوصِ.

وَاسْتِكمالاً لِمَا سَبقَ طَرحُهُ يُقالُ:

السَّبَبُ الخَامِسُ:

الحَـذَرُ مِـنَ اليَـأسِ وَالقُنـوطِ وَقَتـلِ الهِمَمِ وَالعَزائِمِ، لِكَثرةِ مَا يُرىَ

وَيُسمَعُ مِنْ مَصائِبِ الإِسْلامِ وَالْمُسْلِمينَ فِي أَي مَكانٍ أَو زَمانٍ، فَعَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يُغلِقَ عَنْ نَفسِهِ بَابَ اليَأسِ وَالقُنوطِ بِأحْكَمِ الأَقْفالِ وَأَوثَقِهَا، وَأَنْ يُحْسِنَ الظَّنَّ بِاللهِ تَعَالَى، وَأَنْ يَستَشْعِرَ مَعانِي الآياتِ الْمُحَذِّرَةِ وَالمرهِّبَةِ مِنْ اليَأسِ، كَقَولِهِ تَعَالَى: {**لاَ تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ اللهِ**} [الزمر: ٥٣]، وقوله تَعَالَى: {**وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّآلُّونَ**} [الحجر: ٥٦]، وَقَولِهِ تَعَالَى: {وَلاَ تَيْأسُوا مِنْ رَوحِ اللهِ إِنَّهُ لاَ يَيْأسُ مِنْ رَوحِ اللهِ إِلاَّ القَومِ الكَافِرونَ} [يوسف: ٨٧].

وَعَلَى الْمُسْلِمِ أَيْضًا فِي الوَقتِ نَفسُهُ أَنْ يَتَذَكَّرَ النُّصوصَ الْمُبَشِّرةَ وَالدَّالَّةَ عَلَى حُصولِ اليُسْرِ بَعدَ العُسْرِ، كَمَا فِي قَولِهِ تَعَالَى: {**حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللهِ قَرِيبٌ**} [البقرة: ٢١٤]، وَكَقَولِهِ تَعَالَى: {**حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ وَلاَ يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ**} [يوسف: ١١٠] إِلَى غَيرِ ذَلكَ مِنَ النُّصُوصِ وَالأَخْبارِ الَّتِي تُذْكِيْ العَزائِمَ وَتَشحَذُ الهِمَمَ.

السَّبَبُ السَّادِسُ:

اسْتِشْعارُ الْمَسْؤولِيَةِ مِنْ كُلِّ فَردٍ مِنْ أَفْرادِ الْمُجْتَمَعِ، وَذَلكَ أَنْ يَشْعُرَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مَهمَا كَانَ مَوقِعُهُ وَشَأْنُهُ أَنَّهُ مَسؤولٌ وَمُساءَلٌ، فَيَبْدَأُ بِإِصْلاحِ نَفسِهِ وَبَيتِهِ ثُمَّ تَتَسِعُ دَائِرَةُ الإِصْلاحِ حَتَّى تَشْمَلَ جُلسَاءَهُ وَجِيرانَهُ وَمُجْتَمعَهُ، وَلْيَعْلَمْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا أَنَّهُ عَلَى ثَغْرٍ مِنْ ثُغورِ الإِسْلامِ فَلْيَحذَرْ أَنْ يُؤتَى الإِسْلامُ مِنْ قِبَلِهِ.

فَعَلى الكَاتِبِ مِنَّا أَنْ يُسَخِّرَ قَلَمهُ لِخِدمَةِ الإسْلامِ وَنُصْرتِهِ، وَعَلَى التَّاجِرِ أَنْ يُراعِي أَولاً حَقَّ اِلله مِنْ زَكاةٍ وَنَفقَةٍ ثُمَّ عَليهِ أَنْ يَجْعَلَ مِنْ مَالِهِ نَصيباً فِي دَعمِ الإسْلامِ وَالمُسْلِمِينَ، وَلْيعْلَمْ أَنَّهُ مَهمَا بَالغَ فِي الإنْفاقِ فَإنَّ دَلكَ خَيرٌ وَأَنْفَعُ سَبيلاً { **وَمَا تُقَدِّمُواْ لأَنفُسِكُمْ مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ الله هُوَ خَيْراً وَأَعْظَمَ أَجْراً**} [البقرة: ١١٠].

وَقَالَ ﷺ: «**مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ**»(١).

شَاهِدُ المَقَالِ: أَنَّ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ أَنْ يَسْتَشعِرَ أَنَّهُ عَلَى ثَغرٍ مِنْ ثُغورِ الإسْلامِ فَيُؤدِيَ مَا يَقدِرُ عَليهِ مِنْ دَعمِ الإسْلامِ وَالمُسْلِمِينَ مَهمَا كَانَ حَجمُ دَلكَ الدَّعْمِ، وَلَو كَانَ يَسيراً فِي نَظَرِهِ أَو نَظَرِ الآخَرينَ، فَرُبَّمَا يَكونُ دَلِكَ اليَسيرُ عَظيماً حِيناً مِنَ الدَّهْرِ، قَالَ ﷺ: «**لاَ تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا**» (٢).

السَّبَبُ السَّابِعُ:

عَدَمُ الاغْتِرارِ، بَلِ الحَذَرُ مِنْ الاغْتِرارِ بِالكَثْرَةِ، وَالعُجْبِ بِالعُدَّةِ وَالعَتادِ، فَالكَثْرَةُ لاَ تَنفَعُ أَصْحابَهَا شَيئاً إِذا كَانتِ النُفوسُ صِغاراً.

وَإِذا كَانتِ النُّفوسُ كِباراً تَعِبتْ فِي مُرادِهَا الأَجْسامُ

---

(١) رواه مسلم (٢٥٨٨).

(٢) رواه مسلم (٢٦٢٦).

فَالتَفاخُرِ بِكَثرةِ العَدَدِ مَذمُومٌ شَرعاً، بَلْ فِي غَالِبِ أَمْرِهِ يُؤَدِّي بِأصْحابِهِ إِلَى العُجْبِ ثُمَّ الانْهزامِيَةِ، وَقَدْ جَاءتْ نُصوصٌ تُبَينُ ذَمَّ الكَثْرَةِ العَدَدِيَةِ فِي غَالِبِ أَحوالِهَا، كَمَا فِي قَولِهِ تَعَالَى:

{وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ الله} [الأنعام: ١١٦]

{وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِالله إِلاَّ وَهُمْ مُّشْرِكُونَ} [يوسف: ١٠٦].

{وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ} [يوسف: ١٠٣].

{كَم مِّن فِئَةً قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةٍ كَثِيرَةً بِإِذْنِ اِلله} [البقرة: ٢٤٩].

{اعْمَلُواْ آلَ دَاوُودَ شُكْراً وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ} [سبأ: ٣].

{وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ} [ص: ٢٤].

إِلَى غَيرِ ذَلكَ مِنَ الآيَاتِ.

وَأَمَّا مِنَ السُّنَّةِ: فَعَنْ ثَوبانَ رَضِيَ اُلله تَعَالَى عَنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اِلله ﷺ: «يُوشِكُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمُ الأُمَمُ مِنْ كُلِّ أُفُقٍ كَمَا تَدَاعَى الأَكَلَةُ عَلَى قَصْعَتِهَا» قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ الله أَمِنْ قِلَّةٍ بِنَا يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنْ تَكُونُونَ غُثَاءً كَغُثَاءِ السَّيْلِ يَنْتَزِعُ الْمَهَابَةَ مِنْ قُلُوبِ عَدُوِّكُمْ وَيَجْعَلُ فِي

قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ» قَالَ: قُلْنَا: وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: «حُبُّ الْحَيَاةِ وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ»[1].

السَّبَبُ الثَّامِنُ:

اجْتِنابُ المَعاصِي وَالحَذَرُ وَالتَحذيرُ مِنْهَا، فَالمَعَاصِي مِفْتاحٌ لِكُلِّ شَرٍّ وَمِغْلاقٌ لِكُلِّ خَيرٍ، وَبِسَبَبِهَا يَتَصَدَّعُ كِيانُ الأُمَّةِ وَتَزولُ هَيبتُهَا، وَتَكونُ مُقَوُدَةً بَعدَ أَنْ كَانَتْ قَائِدةً، قَالَ ﷺ: **«إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ وَرَضيتُم بِالزَّرعِ واتَّبَعتُمِ أَذْنَابَ الْبَقَرِ وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلاً لاَ يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ»**[2]

اَللهَ نَسألُ أَنْ يُعِزَّ الإِسْلامَ وَأَهلَهُ وَأَنْ يُذِلَّ الشِّركَ وَأَهلَهُ.

اللّهُمَّ أَصْلِحْ شُؤونَنَا...

* * *

---

(١) رواه أحمد (٢٢٣٧٩).

(٢) رواه أبو داود (٣٤٦٢).

الخطبة الثانية

الحَمْدُ لِله...

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ:

السَّبَبُ التَّاسِعُ:

التَنبيهُ لِمَكائِدِ الأَعْداءِ وَالحَذَرُ مِنْهَا، لأَنَّهَا تَتَنامى وَتَزدَادُ بِحَسَبِ تَجاهُلِهَا وَعَدمِ إِلقَاءِ البَالِ لَهَا، وَفِي الوَقتِ نَفسِهِ تَتَبلَّدُ أَحَاسيسُ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ تِجَاهَهَا، وَمِنْ ثَمَّ يَسْتَمرئُونَهَا وَيَتأَقلَمونَ عَليهَا.

شَاهِدُ المَقال: أَنَّ كَيدَ شَياطِينِ الإِنْسِ وَالجِنِّ مُستَمِرٌّ فِي شَرِهِ وَاسْتِفحَالِهِ، وَالوَاجِبُ عَلَى كُلِّ مُسلِمٍ أَنْ يَحْذَرَ وَيُحَذِّرَ مِنَ الخِداعِ بِبريقِهِ.

السَّبَبُ العَاشِرُ:

عَدمُ التَهويلِ مِنْ شَأنِ العَدُوِّ إِلى حَدِّ إِدخَالِ الرُّعبِ فِي قُلوبِ ضِعافِ الإِيمانِ وَاليَقين، وَذَلكَ بِذِكرِ عَددِ العَدُوِّ وَعُدَّتِهِ وَعَتادِهِ بِصورَةٍ تُظهِرُهُ بِمَظهَرِ الغَالِبِ الذي لاَ يُغلَبُ، فَهَذا مِمَّا يُعينُ عَلَى فُقدانِ، الشُّعورِ، بَلْ مُجَرَّدِ التَفكِيرِ بِالنَّصْرِ.

وَلاَ شَكَّ وَلاَ رَيبَ أَنَّ هَذا مِنَ الخُطورَةِ بِمَكان، إِذ إِنَّ الهَزيمَةَ النَّفْسِيَةَ أَعظَمُ مِنْ الهَزيمَةِ الحِسْيَّةِ فَالهَزيمَةُ الحِسْيَّةُ مُؤَقَتةٌ بِوَقتٍ تَزولُ بِزَوالِهِ، أَمَّا المَعنَويَّةُ فَتَبقَى مُلازِمَةً أَصْحابِهَا أَمَداً طَويلاً. وَبِكُلِّ حَال: فَالحَذَرَ الحَذَرَ مِنْ التَّضْخيمِ وَالمُبَالَغَةِ فِي إِظْهارِ العَدُوِّ ، بَلْ الأَوْلَى بِالمُسْلِمِ أَنْ يَكونَ سَبَباً فِي شَحذِ الهِمَمِ وَالعَزائِمِ وَحَثِّ النُّفوسِ عَلَى حُسْنِ الظَّنِّ بِاللهِ تَعَالَى، وَكَذلِكَ عَلَى فِعلِ مَا يُسْتَطاعُ مِنَ الأَسْبابِ وَالوَسَائِلِ التِّي تَكونُ

عَوناً- بَعدَ اِلله تَعَالَى- فِي هَزيمَةِ العَدوِّ وَكَسرِ شَوكَتِهِ { **وَأَعِدُّواْ لَهُمْ مَّا اسْتَطَعْتُمْ مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ الله وَعَدُوَّكُمْ**} [الأنفال: ٦٠].

اللّهُمَّ أَعِزَّ الإِسْلامَ وَالمُسْلِمِينَ وَأَذِلَّ الشِّركَ وَالمُشْرِكِينَ، اللّهُمَّ أَصْلِحْ أَحْوالَ المُسْلِمِينَ وَرُدَّهُم إِلى دِينِهِم رَداً جَميلاً.

اللّهُمَّ وَفِّقْ وُلاةَ أَمْرِنَا وَأُمورِ المُسْلِمِين إِلى مَا فِيهِ صَلاحُ العِبادِ وَالبِلادِ.

اللّهُمَّ أَنتَ اُلله لاَ إِلهَ إِلاَ أَنتَ الغَنِيُّ.

سُبحانَ رَبِّكَ رَبِّ العِزَّةِ.

* * *